

## المآثر السورية في لبنان <٧>

لا شك أن لبنان يعيش في خضم أخطار جسيمة، وستتاح له فرصة التخلص منها، ولما كان تحرير الأرض يتم بمجرد جلاء الجيوش الأجنبية عنها، فإن تحرير العقل السياسي من الخبل المزمن الذي أصيب به بسبب الاحتلال الفكري يبدو مستعصياً، فالمجتمع يفقد معالم العالم المتحضّر يوماً بعد يوم، وينحدر إلى أقصى درجات الانحطاط في جميع نشاطاته وعلاقاته.

تميّزت الحملة الأخيرة التي تعرّضنا لها بظهور عوارض مرضية خبيثة في عقول وأخلاق الذين أتشفونا بعرضهم التلفزيوني المنفرد، واتخذوا لأنفسهم صفة المحقّق والنائب العام والقاضي، فحققوا واتهموا وحاكموا غيابياً، ثم أصدروا الأحكام.

وإذا كان بعض السياسيين والصحافيين ( ولا أدري إن كانوا يستحقون هذه الألقاب) قد اتخذوا صفة القضاء، فإن ما هو أشدّ وأدهى هو قبول القضاء بتبادل الأدوار معهم، بعد أن اتخذ منحىً إعلامياً تشهيريّاً، ومستبيحاً لنفسه الخروج على كل قواعد العدالة.

نعرف مسبقاً بأن هناك حدوداً مرسومة للإعلام، ولكن هل يجوز أن تلغي هذه الحدود أي التزام مهني لدى وسائل الإعلام التي فُرضت عليها المشاركة في هذه المجزرة المعنوية، دون أن يكون بإمكانها طرح سؤالٍ واحدٍ على المستهدف في هذه الحملة؟ وهل يجوز زرع الشك والعدائية في نفوس المواطنين على قاعدة ما قاله فولتير: "اكذبوا ... اكذبوا ... سيبقى دائماً من كذبكم شيء ما".

نعرف مسبقاً أن الحملة "الدمشق-بيروتية" لن تستطيع قتل "مربع" الفرزدق، فكيف لها أن تتال ممن وقفوا، ويقفون، بوجه الإرهاب السوري كل يوم، ولم يعبأوا بمحاولات الاغتيال، ولا بالآلاف الفذائف تتهمر عليهم! وهي، وإن سمحت لها حالة الاستقواء بالتطاول والافتراء، فستبقى قاصرة عن النيل من الحقيقة، وممن يعلنونها بكل شفافيّتها.

أن الأوان ليفهم القاضي والداني بأن التهريج الحاصل في بيروت لا علاقة له بضمائر الناس، وقد أصبح الحكم فيها من نادي الـ ٩٩%، ولا قيمة لما يُسمع من آراء في ظلّ الممنوعات المفروضة على المعارضة بعد أن صارت محطات التلفزيون والراديو قلاعاً محصّنة، لا يخترقها سوى أصحاب الرأي الإيديولوجي الواحد، أو المموهين بربع رأي معارض يرسم المساومة والبيع.

أما ما تقوم به أجهزة المخابرات للناشطين في التيار الوطني الحر، فلن يثني أحداً عن قناعاته، ولا عن نشاطه المألوف، لأن ما يمارسه الشباب هو أقل بكثير من حقوقهم المشروعة والشرعية، وما زال سلوكهم يتحدّى الجميع لأنه دون عمالة ولا عمولة ولا دم ... فمن لديه أفضل مما عندنا فليواجهنا.

وإذا كان هناك من نصيحة يمكن أن يتقبّلها رجال النظام السوري، فهي واجب إنهاء الذهنية الستالينية في التعامل مع المواطنين، والإقلاع عن التذرّع بكل شاردة وواردة للتخلص من المعارضين بالوسائل غير المشروعة، التي تبدأ بمحاكمة النوايا وتنتهي بالاغتيال، وترك لبنان بأسرع وقت ممكن لأننا نريد إضاءة مصابيح الكهرباء، وإطفاء قناديل الكاز الملوّثة للأجواء، فلم تعد لنا القدرة على تنقّس الهواء الموبوء. < يتبع >